فنون الطين

تزخر صناعة الفخار المغربي بخصائصها الفنية التي تختلف من منطقة إلى أخرى.

ويتميز الفخار المغربي في المدن بطابعه المزين والمزخرف. تعتبر مدن فاس وآسفي وسلا ومراكش وتطوان أهم خمسة مراكز الخزف المغربي.

فخار فاس

تتميز فاس بأفضل القطع الخزفية المصنوعة بحرفية والمغطاة بطلاء زجاجي براق. حوالي خمسون معلم خزّافي وحرفي الزليج المزخرف كل واحد منهم يشغل أربعة أو خمسة عمال ومتدربين في مدينة تعتبر عاصمة الفخار في المغرب.

بعد تغطية الواجهة الخارجية بطلاء زجاجي يتبعه طلاء أبيض كخلفية تزين، بخطوط هندسية

أو نباتية حصريا باللون الأزرق. يعتمد الصانع في رسوماته على ألوان زاهية مثل البني والأخضر والأصفر والأزرق.

في مدينة فاس، توجد أيضًا قطع خزفية من الزليج الأزرق بخلفية بيضاء وعلى أنماط مختلفة من الفخار المستوحاة من القرى المجاورة. لم يكن يتوفر الخزفيين القدماء على أكثر من خمسة ألوان (على خلفية بيضاء، بني، أخضر، أصفر وأزرق).

تستخرج الأكاسيد المعدنية من المناجم المحيطة بالمنطقة، ويتم استخراج اللون الأزرق من خام الكوبالت الذي يحتوي على النيكل. من خلال تكرير هذا المعدن، يصبح اللون الأزرق أعمق وأقل رمادية.

القطع المزخرفة مصنوعة من خليط متقن للغاية، يحتوي على الفلسبار والرمل والطين المطهو تحت درجة عالية من الحرارة وطين أكادير وصلصال الناظور. لا تزال أنماط الفخار الفاسية مرتبطة إلى حد كبير بالطبيعة (نواة الزيتون، اللوز، مرددوش، الياسمين) أو بالتراث المعماري (الزليج، الفسيفساء، الرقعة). غالبًا ما تزين الأطباق والأوعية والمزهريات بألوان زاهية وأنماط منقطة، يتم تتبعها بأصابع السبابة منقوعة في القطران. يعد الفسيفساء والزليج الطبيعي من اختصاص فاس.

فخار آسفي

تقع مدينة آسفي على ساحل المحيط الأطلسي، وتشتهر بأوانيها الفخارية الزرقاء، الموروثة عن الخزفيين في فاس الذين جاؤوا للاستقرار بها في القرن التاسع عشر. جعل صناعة الخزف بآسفي متعددة الألوان.

يتميز الزليج المنقوش السفيوي بطينه فائق الخفة وبأجزاء لامعة بالإنعكاسات المعدنية. يستخدم الحرفيون الطين الأحمر والصلصال الذي يستعمل كغلاف للتحف الفنية. ويستعمل الكوبالت (خليط من القصدير والرصاص) لتغطية الواجهة. كلما زادت نسبة المواد المعدنية، كلما كان الطلاء أبيضا وناعما. مع القليل من الإضافات المعدنية يصبح الطلاء أصفرا.

تصمم الأشكال اعتمادا على منحنيات غير مستقيمة وغير مشكلة، لتعطي في النهاية تصميم متناظر الأبعاد وأصيل. مع مرور الوقت، يتطور الأسلوب إلى إبداعات مستوحاة من الفن الفارسي أو الصيني التجريدي. ولا أدل على ذلك من التلة الشهيرة للخزفيين وورشاتها التي تبقى شاهدة على هذا التراث الحي. كل شيء في المدينة معبر أو مرتبط بالسيراميك. اليوم، اكتسب الخزف السفيوي سمعة دولية بحيث يتم إنتاج جميع أنواع التحف اليدوية باللولب، بما في ذلك القرمود المطلوب جدا في المغرب.

فخار سلا

يدين السيراميك في سلا إلى الليونة الاستثنائية للتربة الطينية المتواجدة بمحيط المدينة. تزود مقالع الطين في الولجة الواقعة على مشارف المدينة الخزفيين، بمواد خام عالية الجودة. يستخدمون مزيجا من ثلاث أنواع من الطين:

- الطين الذي يحتوي على نسبة من الرمل
- طين الولجة.
- مزيج خاص لصناعة السيراميك المصقول من الطين الأحمر والطين الأبيض وطين قعر الوادي المستخرج على عمق متر واحد.

يتميز فخار سلا بألوانه الخفيفة الموضوعة على طلاء أبيض أو الأخضر المائي أو الأزرق الفاتح أو البني مع خطوط رقيقة على شكل رسومات، كالخلالة أو أوراق الشجر.

تحمل الأشكال طابعا (امازيغيا، أندلسيا). على عكس فخار فاس الناعم للغاية، محاور زخارف سلا تتميز بالنحت والتجويف.

فخار مراكش

المدينة الحمراء هي موطن لاثنين من أهم مدارس الفخار المغربي، سيدي عمارة وباب الدباغ.

يبدو أن الفسيفساء الفني قد شهد تراجعا خلال فترة الموحدين، التي عرفت زخرفة صومعة الكتبية، وعهد السعديين عندما تولى حرفيو فاس تزيين المقابر الشهيرة للدولة السعدية وكذلك العديد من مباني المدينة والمساجد.

حاليا، حل الفخار المزخرف بطلاء زجاجي محل الفخار الموجود سابقا. تعد مراكش، إلى جانب مكناس والرباط، مركزًا لصناعة القرمود الأخضر اللامع الذي يغطي أسطح المساجد والقصور وبعض المآثر التاريخية.

توحي من بعيد الأسطح المغطاة بهذه القطع وكأنها حدائق.

فخار تطوان

تبدو المدينة الواقعة شمال المغرب كلوحة فنية متعددة الألوان، تذكرنا بالزخارف أزويلوس الإسبانية، والزخارف الإسبانية-الموريسكية المصنوعة من التقاطعات والأرابيسك. في تطوان، يُصنع الزليج أيضًا، يتم تشكيل الفسيفساء الخزفية والمنقوعة في طلاء زجاجي لتدخل الفرن قبل تجميعها، مما يضفي عليها طابعا مميزا.

يستخدم حرفيو تطوان خمسة ألوان تقليدية (أبيض، أحمر، أزرق، أخضر، أسود). في جنوب شرق المدينة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، تحديدا في واد لاو، تعمل النساء على صناعة الفخار اليدوي للاستعمال اليومي، طبيعي أو مزخرف أو خفيف الزخرفة، والذي لا يزال سائدًا في المدن والقرى، خاصة المرتبط بمستلزمات المطبخ.

يستخدم السيراميك في تحضير الطعام أو حفظه وبالتالي فإن هذه الحرفة تتيح للخزفيين فرصة التعبير عن أنفسهم من خلال قطع مثل الأطباق والأواني والجِرار والأوعية والمزهريات أو القلال وغيرها.

الزليج

الزليج هو عنصر من عناصر العمارة الأمازيغية والإسبانية-الموريسكية، والتي تكيفت تمامًا مع أنماط الديكور المعاصر مع الحفاظ على طريقة صناعته التقليدية.

وتشكل المربعات الطينية المطهوة والمغطاة أو غير المغطاة بالطلاء الزجاجي المنحوت يدويًا، نمطًا يخضع لقواعد معينة من خلال طريقة تجميع متماسكة : استمرارية الخطوط اختلاف الألوان وأشكال متماثلة. كدليل على عبقرية الحرفي التقليدي مغربية، يزين الزليج النافورات والأحواض والأعمدة وجدران المنازل الجميلة.

براعة ومهارة الصانع المغربي مشهود لها عالميا، يؤدي إبداع الحرفي أحيانا إلى تحديات فنية، عندما يصبح حجم الزليج دقيقًا وصغيرا. وهكذا، تتكون بعض القطع الهندسية المحورية من مئات القطع من الزليج.

فن الجبس

فن الجبس

في المغرب، يبدع الحرفيون في فن الجبس، يطوعونه، يقطعونه ثم يقدمونه كتحفة فنية. يغطي عادة الجبس الجزء العلوي من الجدران أو أعلى الزليج كما يستخدم في زخرفة الأقواس أو الأسقف.

يستخدم الجبس أيضًا لتزيين الفناءات الكبيرة. ويتميز فن الجبس في المغرب بأنواع الديكورات إما أن تكون قوالب محضرة، أو تقاطع هندسي أو زخارف محورية اعتمادا على اللون الأبيض.

ويمكن صباغتها كليا وتزيينها بألوان زاهية أو لمسات مذهبة. الجبس الموجه تحديدا للتزيين يترك ليجف جيدا، ما يسمح للحرفيين بنحته بكل دقة. شيئا فشيئا، تتحول كتلة الجبس الناعمة إلى زخرفة مجوفة.

تطورت صناعة الجبس بفضل مهارة أيادي هؤلاء المعلمين المغاربة المطلوبون في جميع أنحاء العالم، لموهبتهم وخبرتهم في إتقان هذا الفن العريق.